

الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: أولى ماستر

المادة: آليات الحجاج

التخصص: نقد حديث ومعاصر

المحاضرة رقم 01 من 12

عنوان المحاضرة: تعريف الحجاج

تعريف الحجاج

ارتبط الحجاج بالإنسان منذ القديم حتى صار فيه جبلة تغذيها النزعة الذاتية تجاه ما يواجهه من مواقف وأحوال في حياته اليومية؛ ذلك لأن الإنسان لديه رغبات وميولات نفعية يسعى إلى الدفاع عنها بشكل تلقائي بما يمتلكه من مؤهلات فكرية وملكات إدراكية وكفاءات منطقية.

وإذا كان ظهور الحجاج مرتبطا ببروز الوعي الإنساني فإن نظرياته لا تزال في التأسيس والتشكل إلى يومنا هذا، فهي تشهد كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني هذه النظرية وتثريها، ولعل هذا يعزى إلى سعة موضوعه وتعدد مشاربه، وتداخله مع علوم معرفية مختلفة كالفلسفة والمنطق، والبلاغة واللسانيات، مما جعل كل باحث ينطلق في دراسته من ميدان تخصصه.

1- الحجاج لغة:

جاء في لسان العرب: "يقال حاججته حجاجا ومحجة وحججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم. وقال

الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جدل، وحجه يحجه حجا غلبه على حجته<sup>1</sup>.  
وجاء في القاموس الفقهي: "حاجة محاجة وحجاجا؛ أي جادله"<sup>2</sup>.  
وعليه فإن الحجاج في اللغة مجاله الغلبة والبرهان والمنازعة والمجادلة، ومحاولة والانتصار في الرأي.

## 2- مفهوم الحجاج اصطلاحا:

المقصود بالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة اللغوية المؤدية إلى نتيجة ما، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أو إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة حجج، والبعض الآخر هو بمثابة النتائج<sup>3</sup>.  
وعليه فإن المقولة الحجاجية تتضمن صنفين من العبارات اللغوية بعضها يشكل حججا، والبعض الآخر يشكل نتائج لتلك الحجج.  
ولمعرفة الحجاج "يستوجب التفريق بينه وبين البرهنة أو الاستدلال المنطقي، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة أو إثبات شيء ما، ولا تتبّع طرق الاستدلال المنطقي"<sup>4</sup>، ويمكن أن نفرق بين الحجاج والبرهنة فيما يأتي:  
أ- البرهنة:

- كل جريمة يعاقب عليها القانون.

- السرقة جريمة.

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، مادة حجج، ج1، ص226.  
2 - سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1988، مادة "حج"، ص76.  
3 - ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2006، ص57.  
4 - أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص56.

- النتيجة: السرقة يعاقب عليها القانون.

ب- **الحجاج**: إذا أراد المتكلم أن يقنع السامع بأن الجو سيكون حارا يأتي بالحجة

الآتية:

- الحجة: السماء صافية.

ليصل إلى النتيجة:

- النتيجة: سيكون الجو حارا هذا اليوم.

نلاحظ في الأمثلة "أ" أنّ استنتاج السرقة يعاقب عليها القانون حتمي لأسباب

منطقية، أما استنتاج ارتفاع درجة الحرارة في الأمثلة "ب" يقوم على معرفة العالم،

وبذلك فهو استنتاج احتمالي، قد يتحقق، وقد لا يتحقق.

وتتسم الحجج اللغوية بعدة خصائص منها:

أ- سياقية: يلعب السياق دورا هاما في منح الحجة طبيعتها الحجاجية، فقد تكون

العبارة حجة في سياق، ولا تكون كذلك في سياق آخر، وهو ما ينطبق على النتائج

أيضا، فهي تتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها الحجة، ويمكن أن نستشهد على ذلك

بالبيت الشعري الشهير، الذي هجا به الشاعر الأموي جرير الراعي النميري وقبيلته:

**فَغُضَّ الطرف إنك من نمير      فلا كعبا بلغت ولا كلابا**

يتضمن الشطر الأول نتيجة مفادها: "غض الطرف"، وحجة تخدمها وهي: "إنك من

نمير"، وقد كان لكلام جرير من القوة والسلطان ما جعل أفراد قبيلة الشاعر النميري

يغضون الطرف فترة من الزمان، غير أن عبارة "أنت من نمير" لن تكون حجة دائماً، فلو استخدمت في سياق آخر كالتعارف مثلاً سيفقد هذا القول قوته الحجاجية، وبذلك فإن السياق هو الذي أكسبها طابعها الحجاجي<sup>5</sup>.

ب- النسبية: هناك حجج قوية وأخرى ضعيفة فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى منها<sup>6</sup>.

ج- الحجة قابلة للإبطال: إذا كان البرهان المنطقي والرياضي مطلقاً وحتمياً لا يقبل الإبطال، فإن الحجة اللغوية نسبية ومرنة، تقبل الإبطال، وذلك بحجة أقوى منها.

كما أن الحجاج عرضة للتغيير والتحوّر، وهذا لعدة عوامل منها: تغيير المقام، وتبدل ظروف المتكلم، حتى وإن ظل موضوع النقاش ذاته<sup>7</sup>، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

- تحصل محمد على شهادة البكالوريا.

فهذه حجة تثبت اجتهاده.

ويمكن نقض هذه الحجة في موضع آخر، وذلك بقولنا:

- تحصل محمد على شهادة البكالوريا، التي تحصل عليها الملايين، وللحظ دور هام فيها.

وبذلك فإن الحجة عرضة للتبدل والتغيير.

ويهدف الحجاج إلى الإقناع، ولهذا الأخير مجموعة من المسوغات منها<sup>8</sup>:

<sup>5</sup> - ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الطبعة الأولى، 2006، ص 127-129.

<sup>6</sup> - ينظر، أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 59.

<sup>7</sup> - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 461.

- أ- تأثيره في المرسل إليه أقوى، ونتائجه أثبت وأبقى؛ لأنه لا يشوبه فرض بالقوة.
- ب- يعتبر الإقناع الهدف الأسمى لكثير من أنواع الخطابات، فالمرسل يفضل استعمال الإقناع ولو كان ذا سلطة تخوّله استعمال طرق أخرى.
- ج- شمولية الإقناع: فهو يمارس على جميع الأصعدة، فالحاكم يحاول الإقناع، والفلاح كذلك...، هذا ما يعزز انتماءه إلى الكفاءة التداولية للإنسان السوي، بوصفها دليلاً على مهاراته الخطابية.
- د- تحقيق الكثير من الأهداف التربوية، فقد استخدمه الأنبياء لهداية الناس.
- وكي يتمكن الحجاج من أداء وظيفته الأساسية وهي الإقناع والتأثير لابد من توفر جملة من الشروط الضرورية وهي<sup>9</sup>:

- ينبغي على المحاجج السعي إلى إظهار الحياد؛ أي الإيهام بأنه لا ينحاز إلى رأي بعينه، ولا يتعصب لموقف محدد، وأن ما يعرضه في الخطاب هو واقع لا مرأى فيه، وحقيقة لا سبيل إلى دحضها، فالمحاجج يختفي وراء قناع المحلل الرصين، الذي يعرض الأحداث بموضوعية وتجرد تامين، فيظهر الخطاب شفافاً في ظاهره، وفي باطنه حجاج وإقناع.

- التناغم البيّن والانسجام الجلي بين مفاصل الخطاب ومختلف مكوناته، فلا مكان للتناقض في الخطاب الحجاجي؛ لأنه رسم بياني لعالم مصغر، عالم يقنع ويؤثر ويفعل في المتلقي، فلا تخالف نتائجه مقدماته، ولا تناقض أوائله أواخره، ولا

<sup>8</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 446.

<sup>9</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص 36-37.

تعارض دقائقه عمومياته، هذا التناغم يتسم بطابعه العملي، ذلك أنه لا يفهم خارج مفهوم التطابق مع تلك الأوضاع الخارجية التي يتخذها مرجعا له، فيتحرك داخلها.

## المحاضرة رقم 02 من 12 عنوان المحاضرة: الحجاج عند الفلاسفة والمناطق:

### الحجاج عند الفلاسفة والمناطق:

كان اهتمام الإنسان بالحجاج قديماً، حيث امتزج بالدراسات المنطقية والبلاغية، وبالجدل والخطابة والفلسفة، فقد عدّ الإغريق البلاغة فناً للتأثير في النفوس. إلا أن فضاء البلاغة سرعان ما تلاشى بعد حلول العصر الصناعي، وهذا لأسباب عدة منها: طغيان العقلانية التي ترفض الاستدلالات الخارجة عن البرهنة. ثم عادت البلاغة والحجاج بقوة بعدما امتزجا بنظرية التواصل، ولعل أهم ما ساعد على ذلك هو التخلص من الوهم القائم على اعتبار اللغة نظاماً لرسم الوقائع، فهي حسب التصور الجديدة نظام تتحول به الأقوال إلى أفعال<sup>10</sup>

### 1- الحجاج عند السفسطائيين:

ظهرت الحركة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد، وتميزت بتفرد روادها بالقدرة اللغوية والجدلية. وقد أسهمت هذه الحركة في تطوير البلاغة خاصة ما تعلق منها بالمنطوق، وأثّرت في الحياة الفكرية، وعرف مؤسسوها بمحاورتهم ونقاشاتهم الفلسفية مع أرسطو وأفلاطون، وهو ما أسهم في عنايتهم بالحجاج والإقناع. ويرى السفسطائيون أن القيمة الحجاجية تستمد من اللغة في حد ذاتها؛ أي من معجمها وصرفها وتركيبها، ومن المقومات الخارجية المتعلقة بالسياق مثل مكانة المتكلم الاجتماعية، وظروف إنتاج الخطاب.

<sup>10</sup> - ينظر، عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحفي، ص 170-171.

وقد بين أرسطو آليات الحجاج التي اعتمدوا عليها حين قام بنقدهم، فنكر أهداف الحجاج عندهم حين قال: "التبكي، والإيقاع في الخطأ، والدفع إلى مخالفة المشهور، واستعمال صيغ غير لغوية غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ، وذلك بجعله يكرر كلامه عدة مرات"<sup>11</sup>.

وبذلك يرى أرسطو أن حجاجهم مبني على المغالطات الدلالية، والتلاعب بالخطاب، ومحاولة استمالة السامع والتأثير فيه بكل الوسائل المتاحة.

## 2- الحجاج عند أرسطو:

يعد أرسطو من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا للبلاغة نظرة حجاجية، فقد قسم كتابه البلاغة إلى ثلاثة أقسام؛ يتعلق القسم الأول بمفهوم البلاغة وموضوعها ومناهجها وعلاقتها بالجدل. في حين يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر، أما القسم الأخير فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية، وبذلك فإن هذا المصنّف يتناول اللغة، والفضائل الأخلاقية، والانفعالات والأهواء.

وقد فضّل أرسطو البلاغة على المنطق؛ لأن البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع، وهي أداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية، ومن ثم فالبلاغة هدفها الإقناع والوصول إلى الحق والعدالة عبر الجدل والاستدلال<sup>12</sup>.

وعليه فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا بامتياز يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، يتوجه من خلالها المتكلم إلى السامع قصد توجيهه أو إقناعه. وفي هذا يقول أرسطو: "ويحصل الإقناع حين يهياً المستمعون، ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما..... والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع... ويلزم عن ذلك أن البلاغة تكاد تكون فرعا من الجدل وعلم الأخلاق"<sup>13</sup>.

وبذلك عدّ أرسطو البلاغة فنا خطابيا بامتياز، إذ يستخدم وسائل لغوية في التأثير والإقناع.

11 - أرسطو " فن الخطابة، ص23.

12 - ينظر، جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص25.

13 - ينظر: أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص6.



وقد ميز أرسطو بين أنواع الحجاج<sup>14</sup>:

أ- **الحجاج الفلسفي**: والمقصود به تلك الخطابات الفلسفية التي تتضمن قيما حجاجية. وحرى بالبيان أن الحجاج قد شكل مهادا للحوار الفلسفي؛ لأن الفلسفة هي خطاب العقل والفهم والتأويل، وهي قضايا مرتبطة بالحجاج. وتكمن أهمية الحجاج الفلسفي في منح الأفكار قوتها التي تمكنها من دحض رأي المخالف، كما أنه يحاول أن يستميل العقول المهياة للتفكير العقلاني لإرساء الحقيقة.

ب- **الحجاج الجدلي**: إن منبع الحجاج الجدلي هو التساؤل والخلاف والحيرة حول قضية أو جملة قضايا، فالمجادل في الحجاج الجدلي يعالج قضية فكرية حادة وصفها أرسطو بأنها أشبه بالنزاع والصراع بين أبطال الكلام، وهو ما جعل الحجاج الجدلي فردي؛ لأنه موجه لفرد معين.

وقد ربط أرسطو الحجاج الجدلي بآليات القول وبنائه وإنتاجه، وكذلك بالمتكلم والسامع، وبذلك ربطه بأقطاب العملية التواصلية المتمثلة في المتكلم والرسالة والمتلقي.

ج- **الحجاج الخطابي**: لئن كان الحجاج الجدلي يتسم بالفردية فإن الحجاج الخطابي يتميز بالسمة الجماعية؛ فهو موجه إلى جمهور السامعين، كما يتميز أيضا بمحاولته لبناء حكم وتوجيهه إلى الفعل، لتصبح تلك الأقوال منجزة في شكل أفعال تجسدها في الواقع.

وقد جعل أرسطو لهذا الصنف الحجاجي مراحل هي:

- مرحلة البحث عن مواد الحجاج ومصادر الأدلة، ويجب هنا مراعاة المقام، - فعلى المحاجج أن يعثر على الأدلة والحجج المناسبة لموضوعه ولمستمعيه.

- اختيار الألفاظ والمحسنات؛ ذلك لأن القيم الحجاجية مستورة وخفية، وعلى المتكلم أن يجد ما يناسب موضوعه من ألفاظ.

### 3- النظرية الحجاجية الجديدة: (الأرسطيون الجدد)

<sup>14</sup> - ينظر الخطاب الحجاجي في مختارات أدب العلامة عبد الحميد بن باديس ص 27-30.

تأسست البلاغة الحجاجية الجديدة عام 1958 مع رجل القانون التشيكي "شاييم بيرلمان" واللسانية البلجيكية "لوسي أولبريخت تيتكا" حين أصدرتا معا كتابهما "الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة"، وقد حاولتا تجديد آراء أرسطو البلاغية التي حصرت في الحجاج.

يرى كل من "بيرلمان" و"تيتكا" أن موضوع الحجاج محصور في دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في ذلك التسليم. وقد ربطتا غايتها بجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثه على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو على الأقل يجعل السامعين مهيين لإنجازه<sup>15</sup>.

وعليه فإن الخطاب الحجاجي مرتبط بدرجة الإقناع والإذعان حتى تسلّم الأذهان بما يعرض عليها وتجسد ذلك في الواقع في شكل أفعال كلامية، يكون بمقتضاها الملفوظ الحجاجي بمثابة إنجاز للفعل.

---

15 - ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص89-90.

## المحاضرة رقم 03 من 12

### عنوان المحاضرة: الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

#### الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

لعب الحجاج دورا هاما في الحياة العقائدية والسياسية في البيئة العربية والإسلامية، فقد كانت استراتيجية الحجاج واضحة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وفي الخطابات التي سبقت هذه الفترة بكثير، وذلك في المنافرات القبلية في العصر الجاهلي، ثم تنامت بعد بعثة النبي "صلى الله عليه وسلم"، وتبلورت في كثير من العلوم، مثل علوم الفقه وأصوله، وعلم الكلام، والعلوم اللغوية، وقد كان الإقناع مطية أطراف الخطاب في المسامرات والندوات والنقاشات، مما جعله السبيل الأقوم لإبراز مكنونات هذه العلوم والدفاع عنها<sup>16</sup>.

ويعدّ خطاب المناظرة في التراث العربي من أبرز أنواع الخطابات التي تهدف إلى الإقناع، إذ تظهر فيه سمات الكفاءات التداولية والقدرة على توظيفها حسب متطلبات السياق، فهو المطلب الأساسي في المناظرات، سواء كانت دينية، أو سياسية، أو لغوية...<sup>17</sup>.

وقد اهتم البلاغيون بالحجاج والإقناع، ويعد الجاحظ من أبرز البلاغيين الذين حاولوا التعميد لهذه الاستراتيجية، وذلك في كتابه "البيان والتبيين"، حيث يتنازع

<sup>16</sup> - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص447.

<sup>17</sup> - ينظر، المرجع السابق، ص449.

مفهوم البيان وظيقتان؛ الأولى إفهامية، والثانية حجاجية إقناعية، ولعل ما جعله يهتم بالحجاج انتماءه إلى المعتزلة الذين يعرفون بالدفاع عن آرائهم ومحاولة دحض آراء خصومهم.

ويظهر اهتمام الجاحظ بالإقناع في حديثه عن البلاغة، حيث قال: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفىها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا، أو فيلسوفًا عليماً"<sup>18</sup>.

فقد جمع بين العناصر اللغوية، وما يحيط بها أثناء العملية التخاطبية، مركزاً على المتكلم لتحقيق الإقناع والتأثير في المتلقي، وبذلك فقد تناول الجاحظ الاستراتيجية الحجاجية في كتابه البيان والتبيين، حيث ذكر الخصائص الايجابية للخطيب التي تمنح القبول لخطابه، وتنبّه إلى الخصائص السلبية له، والتي تضعف موقفه مثل العيوب النطقية، والعي...، وبين ما يجب أن يتحلّى به من أخلاق، ولم يغفل العلامات السيميائية ودورها الحجاجي، ولم يكتف بذلك، بل ربط مفهومي البيان

---

<sup>18</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ص 92.

والبلاغة بالإقناع، هذا ما جعل غايته في البيان والتبيين هي الخطاب الإقناعي الشفوي<sup>19</sup>.

وقد جعل الجاحظ الوظيفة الحجاجية من وظائف البلاغة، وهو ما أورده على لسان إسحاق بن حسان بن قوهي حيث قال: "لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط، سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج"<sup>20</sup>.

كما تناول أبو الوليد الباجي الحجاج بالتفصيل في كتابه: "المنهاج في ترتيب الحجاج" فهو يعتبر أن الجدل أو الحجاج: "من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوجّ من المستقيم"<sup>21</sup>، فقد سما بالحجاج إلى أعلى الدرجات، فجعله من أعظم العلوم لما له من أهمية بالغة خاصة في عصره، فهو يعتبره سبيل الوصول إلى الحق وتجنب الباطل.

وقد وضع أبو الوليد الباجي مجموعة من الشروط التي ينبغي على المتكلم اتّباعها لبلوغ مراده المتمثّل في الإقناع، حيث قال: "لا يتكلم على ما لم يقع له العلم

19 - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 448.

20 - الجاحظ، البيان والتبيين، ص 115-116.

21 - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، ص 8.

به من جهته، ولا يتكلم إلا على المقصود من كلامه، ولا يتعرض لما لم يقصده مما جرى من خلاله، فإن الكلام على ما لم يقصده عدول عن الغرض المطلوب، ولا يستدل إلا بدليل قد وقف عليه وخبره وامتحنه قبل ذلك وعرف صحته وسلامته؛ لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه ويبين انقطاعه، ويجتهد في الاختصار، فإن الزلل مقرون فيه بالإكثار<sup>22</sup>.

وبذلك فقد استطاع أن يقعد للحجاج، ويضع له مجموعة من الشروط وهي: العلم، والقصد والاستدلال بالدليل الصحيح.

أما الجرجاني فقد إلى دور الصور البيانية الفعال في التأثير والإقناع حين قال: "ومثاله قولنا: "رأيت أسدا" وأنت تعني رجلا شجاعا، و"بحرا"، تريد رجلا جوادا... فقد استعرت اسم الأسد للرجل، ومعلوم أنك أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة، وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته، وسائر المعاني المركوزة في طبيعة، مما يعود إلى الجرأة..."<sup>23</sup>.

فقد جعل للإستعارة قدرة على التأثير في النفوس، وهو ما يعني أن قيمتها الحجاجية أعلى من غيرها من الملفوظات.

22 - المصدر السابق، ص10.

23 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص33.

كما تنبه الجرجاني إلى القيمة الحجاجية للتمثيل، وبيّن دوره في التأثير، وذلك في قوله: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"<sup>24</sup>.

من هنا يمكن القول إن البلاغيين القدامى اهتموا بالحجاج وتفتنوا إلى القيمة الحجاجية للملفوظات خاصة البلاغية منها.

---

<sup>24</sup> - المصدر السابق، ص115.

## المحاضرة رقم 04 من 12

### عنوان المحاضرة: السلم الحجاجي:

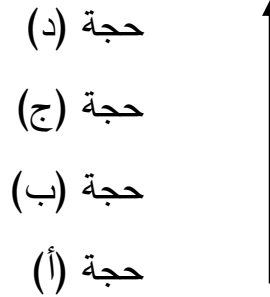
#### السلم الحجاجي:

المقصود بالسلم الحجاجي هو نظام ترتيب الحجج حسب قوتها، حيث ينطلق هذا المبحث من تصور مبني على تدرج الحجج، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، وصولاً إلى النتيجة المتوخاة من المرسل، وتكون هذه الحجج داعمة لها، فهناك علاقة تراتبية للحجج يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي:

ن: النتيجة

أ" ب" ج" د" حجج متدرجة القوة تخدم النتيجة "ن"، حيث "د" أقوى حجة، تليها "ج" ثم "ب" ثم "أ".

النتيجة (ن)



فهذه الحجج تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية، لذا

فهي

تشكل سلماً حجاجياً لخدمة نتيجة معينة<sup>25</sup>.

ولا يمكن للسلم الحجاجي الواحد أن يحمل قضيتين متعارضتين؛ لأنه

يخدم نتيجة واحدة، حيث تنشأ صياغة سلمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة

<sup>25</sup> - ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجج التداولي، منشورات ضفاف، ط1، ص117.



سابقة أو لاحقة تتدرج فيه الحجج حسب قوتها، لذلك فهو يكتفي بقضية واحدة تكون مؤيدة أو معارضة.

وتكمن أهمية السلالم الحجاجية أساسا في "إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي. ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

إذا أردنا أن نثبت أن إبراهيم مجتهد، فهذه نتيجة نرمر لها ب (ن).

نأتي بحجج نرمر لها ب: (أ، ب، ج) لإثبات النتيجة مثل:

أ- تحصل إبراهيم على علامة كاملة في جميع المواد.

ب- تحصل إبراهيم على علامة كاملة في المواد الأدبية.

ج- تحصل إبراهيم على علامة كاملة في مادة اللغة العربية.

فهذه الحجج يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي وذلك كالآتي:

النتيجة (ن): إبراهيم مجتهد في دراسته.

(أ) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في جميع المواد.

(ب) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في المواد الأدبية.

(ج) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في مادة اللغة العربية.



إن هذه الخطاطة تمثل سلما حجاجيا، تشكل الحجة (أ) أقوى حجة، تليها (ب)، ثم (ج)، وهي حجج تخدم النتيجة "ن"، وتكون الحجة الأقوى في أعلى درجات السلم الحجاجي، والحجة الأضعف في أدنى درجاته.

وللسلم الحجاجي قوانين منها<sup>26</sup>:

- قانون القلب: مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في السلم الحجاجي، فإن نقيض الثاني أقوى من الأول.

ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

لنفترض أن لدينا نتيجة مفادها: محمد كريم، فالنتيجة المضادة هي: محمد ليس كريما.

نأخذ حجتين لإثبات النتيجة الأولى:

أ- قدم كل ما لديه لضيوفه.

ب- قدم نصف ما لديه لضيوفه.

ثم نأتي بحجتين للنتيجة المضادة "محمد ليس كريما":

- أ- لم يقدم محمد كل ما لديه لضيوفه.

- ب- لم يقدم محمد نصف ما لديه لضيوفه.

ويمكن التمثل للنتيجة والنتيجة المضادة في السلمين الحجاجيين الآتيين:

السلم الحجاجي "1"

<sup>26</sup> - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 277. 278.

النتيجة "ن" محمد كريم

(أ) قدم كل ما لديه لضيوفه

(ب) قدم نصف ما لديه لضيوفه



- السلم الحجاجي "2"

- النتيجة المضادة "لا-ن": محمد ليس كريما.

(ب) لم يقدم محمد نصف ما لديه لضيوفه

(أ) لم يقدم محمد كل ما لديه لضيوفه



فالحجة (أ) في السلم الحجاجي الأول أقوى من الحجة (ب) في السلم نفسه، أما

الحجة (ب) في السلم الحجاجي الثاني فهي أقوى من الحجة (أ) في السلم نفسه، حيث

تمثل (أ) الحجة المنفية للحجة (أ)، وتمثل الحجة (ب) نفي الحجة (ب).

وتقتضي درجات السلم الحجاجي وجود القوي والضعيف والأعلى والأسفل،

وهذه السلمية قائمة في اللغة بجميع مستوياتها منها:

**1- سلمية المعجم:** تبدو السلمية المعجمية أكثر وضوحا وحسبنا مثلا بعض

النماذج التي قدمها "ديكرو" في مؤلفه "السلام الحجاجية" من قبيل الصفة التي

تطلق للتعبير عن حالة الطقس "منعش، بارد، قارس" أو "دافئ، ساخن، حار"، وقد يطال السلم الأرقام في تراتبها من الأصغر إلى الأكبر<sup>27</sup>.

وعليه فإن المعجم تحكمه سلمية، ودليلنا على ذلك مثلا درجات الألوان واسترسالها، فقد أحصى الثعالبي في اللون الأبيض عدة أنماط وكذلك اللون الأسود، وليس الأمر ببعيد عن الحركة كذلك، فأفعال الحركة من قبيل: مشى، هروا، جرى... تتم عن سلمية في الحركة في حد ذاتها، لذلك فإن سلمية المعجم تؤكد الوظيفة المرجعية للغة، عكس سلمية الخطاب التي لا نكتشفها إلا بتداخل جملة من المعارف سواء اللغوية أو السياقية أو الموسوعية<sup>28</sup>.

**2- سلمية الصرف:** إن الوظيفة الحجاجية للغة قد تستدعي صيغا صرفية معينة، فالانتقال من صيغة إلى أخرى إنما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السلم الحجاجي. فما توفره اللغة من صيغ صرفية كاسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة يؤكد سلمية اللغة، وليس النظام الصيغي وحده يقوم على السلمية، بل إن الأمر يتجاوز إلى نوعية الجموع كجمع القلة وجمع الكثرة... وإلى أصناف الحركات قوة وضعفا<sup>29</sup>.

### **3- سلمية النظام البلاغي:**

إن سلمية النظام البلاغي هي كل ما يوفره المكون البلاغي للملفوظ من قيمة حجاجية مضافة ليحتل درجات عليا في السلم، وبالتالي يدفع المتلقي إلى الإذعان والتسليم. فمن مصلحة الخطاب الحجاجي تقوية طرحه بالاعتماد على

---

<sup>27</sup> - ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2011، ط1، ص123.

<sup>28</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص124.

<sup>29</sup> - ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص126.

الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس؛ لأن مجال الحجاج هو الاحتمال والتوقع<sup>30</sup>.

من هنا يمكن القول إن القيمة الحجاجية للمفوضات مبثوثة داخل النظام اللغوي في حد ذاته، فمنها ما يرتبط بالمعجم ومنها ما يتعلق بالصرف ومنها ما يتضمنه المكون البلاغي.

---

<sup>30</sup> - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص 50.

## المحاضرة رقم 05 من 12

### عنوان المحاضرة: الحجاج والنظرية التواصلية

لقد أصبح الحجاج اليوم شأنًا من شؤون التواصل، يديره علماء التواصل. فالأخصائيون في التواصل هم الذين يدرسون فن الحوار السياسي في التلفزة، والرسائل الإشهارية التي تحمل طابعا حجاجيا، وهم الذين يقدمون الاستشارة للمسؤولين عن شؤون التجارة في المقاولات، ويضعون مخطط الحملات الدعائية. ولم يثر الحجاج اهتمام اللسانيين إلا مع تطور الدراسات التداولية التي تعد من أبرز الدراسات التي تهتم بالتواصل، على الرغم من أنه يشكل جزءا هاما في حياتنا اليومية، فهو ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق، محايت لنظام اللغة الداخلي، ومنفتح على العالم الخارجي، ومرتبب بدواعي القول؛ ذلك أن التواصل لا يتم من أجل لا شيء، بل يأتي بهدف التأثير في السامع، أو على الأقل الاتفاق معه، وذلك عن طريق تحريك اعتقاد أو تبرير قرار أو الدفع إلى عمل؛ لأن الحجاج يتوجه إلى الاعتقاد بالدرجة الأولى؛ أي كل ما يتعلق بترتيب القيم بدل ترتيب الحقائق، نظرا لعلاقة القيم بما هو ممكن وما هو محبذ، عكس البرهان الذي يهتم بترتيب الحقيقة<sup>31</sup>.

وقد أصدر كل من بيرلمان وتينكا سنة 1958 مؤلفا هاما في الحجاج، وهما عالمان مختصان في المنطق يبحثان عن وسائل الحجة في الفلسفة والأشهار والقانون والسياسة والحوار اليومي والعلوم الإنسانية بصفة عامة.

يرى بيرلمان أن التقنيات الحجاجية نجدها في التلفزة وعلى مائدة الطعام وفي المحكمة وفي عالم الأعمال<sup>32</sup>. فهو يمارس على جميع الأصعدة، فالحاكم يحاول

<sup>31</sup> - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص125.

<sup>32</sup> - ينظر: ليونيل برينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ص40.

الإقناع، والفلاح كذلك...، هذا ما يعزز انتماءه إلى الكفاءة التداولية للإنسان السوي، بوصفها دليلاً على مهاراته الخطابية. كما يهدف الحجاج إلى تحقيق الكثير من الأهداف التربوية، فقد استخدمه الأنبياء لهداية الناس.

وإلى جانب أعمال "بيرلمان" هناك أبحاث المتخصصين في علم النفس الاجتماعي في مجال الدعاية والإقناع وبصفة عامة في التواصل الفعال.

وفي سنة 1935 صدرت مؤلفات لـ "أسويل" و"كازي" و"سميث" حول الدعاية والأنشطة التنموية، وأصدر "بافيد" في نيويورك الحجاج والحوار والمناظرة. وقدم في كتابه الحوار باعتباره الأداة المثلى لبلوغ نتائج مقبولة موضوعياً، حيث يبحث المتحاورون بنزاهة ودون تعصب لرأي مسبق عن أفضل حل لمشكلة ما. وفي المقابل درس "هوفلاند" الحجاج في سياق تواصله مع الجمهور.

كما يعدّ الحجاج رافداً من روافد التأويل، إذ أن المؤول حين يحاجج خصمه يحاول أن ينتصر لزعم تأويلي على حساب زعم تأويلي آخر يعتقد بفساده، وهو ما يجعل الحجاج آلية تصنع الكون التأويلي، وتبني عوالم الاعتقاد الممكنة. فهذا التصاهر بين الحجاج كعملية مركبة تتجمع في محيطها كفاءات مختلفة، مثل اللغة والتداول والتعامل والعقائد والتصورات... وبين العمل التأويلي كعمل يتجاوز حدود العملية التفسيرية التي لا يشغلها سوى التأصيل الاستمولوجي المعرفي، والضبط المعجمي الدلالي ليحل في محيط الدائرة التأويلية<sup>33</sup>.

لذلك فإن "الظفر بعصا طاعة الجهور مشروط بالأفعال الخطابية والنجاحات البرهانية التي يحدثها قول المحاجج في جمهوره، إذ كلما كانت تلك الأفعال توافقية مع قواعد المجال التداولي (حاجات الجمهور/ أشرط القول/ مقامات التلفظ...) كان الحجاج ناجعاً، والتأويل نافذاً، وكلما كانت تلك الأفعال تخالفية مع قواعد المجال

33 - ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل، ص 463

التداولي كان الحجاج بارداً، والتأويل قاصراً، لذلك اشترط المنظرون في الحجاج الناجع التوافق، وعلقوا به الانسجام<sup>34</sup>.

من هنا يصبح الحجاج آلية تواصلية ورافداً تأويلياً يؤثر فيه السياق، فهو مقولة لغوية مركبة لها وصل بمقامات الخطاب وسيقاق التلفظ، ينوي من خلالها المحاجج/ المؤول "كتابة أنحاته ورسم بلاغاته رسماً يحصل منه التيقين، ويجوز من ورائه التمكين، من جهة كونهما معيارين أساسيين بهما تقاس النجاعة، وتضبط من خلالهما القوة البرهانية التي يشغلها الخطاب المرسل والكلام الموجه إلى عموم الجمهور أو خصوصه، وذلك حسب الدواعي المقامية والغيب الاستراتيجية الذي تنوى وراءه نوايا المحاجج، وتتستر خلفه هواجس المستدل<sup>35</sup>.

من هنا يمكن القول إن المقولة الحجاجية هي مقولة تواصلية تستخدم في جميع المجالات والميادين سواء كانت خطابات يومية أو تعليمية أو تربوية، كما يتجلى أكثر في الخطاب الإشهاري والسياسي.

---

34 - المرجع نفسه، ص484.

35 - علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل، ص21.



## المحاضرة رقم 06 من 12

### عنوان المحاضرة: استراتيجيات التواصل.

من الصعب حصر استراتيجيات التواصل، ومع هذا يمكننا أن نقدم لها تصنيفا عاما وفق معايير محددة منها: المعيار اللغوي الذي يراد به لغة الخطاب، والمعيار الاجتماعي ونقصد به تلك العلاقات التي تربط بين المتخاطبين، ومعيار ثالث يكمن في هدف الخطاب، ولعل هذا الأخير هو الأكثر اعتمادا في تحديد الاستراتيجية المعتمدة في التواصل.

فهناك مثلا معيار العلاقة التخاطبية بين أطراف الخطاب التي تتراوح قربا وبعدا، علوا أو دنوا، وعلى ضوء هذا المعيار نستطيع أن نعيّن استراتيجية يمكن أن نطلق عليها "الاستراتيجية التضامنية، ويمكن أن يعبر المرسل عن تلك العلاقة بأدوات لغوية كثيرة منها على سبيل المثال الأدوات الإشارية التي تقرب البعيد، وتجمع الأطراف المتخاطبة مثل الضمير "نحن" الذي يدل على الجمع بين طرفي الخطاب.

وتحت هذا المعيار أيضا معيار العلاقات التخاطبية يندرج صنف آخر من الاستراتيجيات وهو الاستراتيجية التوجيهية التي تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل إليه، مثل أساليب الأمر والنهي الصريحين، والتحذير والإغراء، وهي أساليب يبرز دور السلطة الاجتماعية التي تعطي للمرسل نفوذا يمارسه عن طريق اللغة. وفي هذه الحالة لا يجد المرسل إليه بدا من الامتثال والتنفيذ<sup>36</sup>.

36 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، المقدمة.

أما المعيار الثاني لتصنيف استراتيجيات التواصل فهو معيار دلالة الشكل اللغوي، إذ يكون واحدا من صنفين؛ أما قصدا صريحا مباشرا، أي يتضح القصد في الخطاب مباشرة، وإما قصدا ضمنيا غير صريح وغير مباشر، فيكون المعنى مستلزما من شكل الخطاب، وبالتالي يصبح شكلا يستلزم قصدا غير المعنى الحرفي للخطاب، فقد يستخدم المتكلم شكلا خطابيا يبطن فيه مقاصده، ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل السياق في فهمها وكشف معانيها، ويمكن أن نطلق على هذا الضرب بالاستراتيجية التلميحية، ومثال ذلك الاستهزام الذي يراد به الالتماس، وكذلك كافة أنواع المجاز.

والمعيار الثالث لتصنيف الاستراتيجية التخاطبية التواصلية هو معيار الهدف من الخطاب. ويعد الخطاب الإقناعي الحجاجي من أهم الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وبذلك يمكن أن نطلق على هذه الاستراتيجية استراتيجية الإقناع. بحكم المرسل يتوخاها لتحقيق مآرب كثيرة، ويستخدم لذلك آليات عدة، منها ما يخاطب العواطف، ومنها ما يتعامل مع العقل. ويمكن أن يتوخى المرسل في الخطاب الواحد استراتيجيات مختلفة، أو يتوخى استراتيجية واحدة<sup>37</sup>.

وهناك متغيرات سياقية تسهم في اختيار الاستراتيجية التخاطبية، وقد بينها "براون" و"لفنسون"، وهي<sup>38</sup>:

- درجة العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والسامع، أي درجة الألفة بينهما في واقع الحياة.

- العلاقة السلطوية بينهما.

- القيود التي تفرضها ثقافة معينة على الخطاب، ونوعية تلك القيود.

<sup>37</sup> - ينظر المرجع السابق، المقدمة.

<sup>38</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 376-377.

## أنواع الاستراتيجيات:

أ- الاستراتيجية التضامنية: هي الاستراتيجية التي يحاول من خلالها المرسل أن يجسد علاقته بالمرسل إليه، وأن يعبر عن مدى احترامه له، ويحاول إزالة الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه، عن طريق الخطاب، وهذا هو عين التأدب في الخطاب، فنجد المتكلم يسعى جاهدا للحفاظ على عرى التواصل حتى يجلب أقصى ما يمكن من المنفعة له ولمخاطبه، فهي منفعة مشتركة.

ومن شأن الخطاب ، بهذه الاستراتيجية أن يساوي بين أطرافه، وأن يقلص المسافات ويقلل الدرجات، مما يضيق معه إطار الفرقة، وتتقي به عوامل التشتت، حتى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل من بدايته<sup>39</sup>.

ب- الاستراتيجية التوجيهية: هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التأدب، ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة، منها ما يتعلق بأولوية التوجيه، كخطاب النصح والتحذير وغيرها، فالمرسل يولي عنايته فيها لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابى. وبذلك يكون الخطاب التوجيهي يفرض قيوداً على المرسل إليه بشكل أو بآخر، وإن كان القيد بسيطاً، حيث يحاول توجيهه لفعل مستقبلي معين<sup>40</sup>.

ولعل أفضل ما يمثل هذه الاستراتيجية هي الأساليب الإنشائية الطلبية، ففعلها يتحقق بعد التلفظ بها مباشرة، غير أن هناك مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر لنجاحها لعل أهمها سلطة المرسل، وقدرة المتلقي على إنجاز الفعل؛ لأن هذه الأفعال تتحكم فيها العلاقة السلطوية بين طرفي الخطاب، وتتفاوت هذه العلاقة من

<sup>39</sup> - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 258-259.

<sup>40</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 322.

التباين الشديد حتى التقارب الملموس، فلو كان طرفا الخطاب على درجة واحدة لاستعمل المرسل استراتيجية أخرى؛ لأنه يعلم أن فعله مخفق لو استعمل التوجيه<sup>41</sup>.

ج- الاستراتيجية التلميحية: يمكن للمتكلم أن يلمح للقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق. ولو دققنا في الاستخدامات اللغوية اليومية لوجدنا أغلبها عبارة عن خطابات غير مباشرة تلميحية، ويمكن التمثيل لذلك:

أ- هل تتكرم بإقراضى عشرة آلاف دينار؟

ب- قالوا قديما: احفظ قرشك الأبيض ليومك الأسود.

نلاحظ أن المقصود من الاستفهام في المثال الأول هو الالتماس، وبذلك فهو ليس استفهاما حقيقيا.

وإذا انتقلنا إلى المثال "ب" نجد الاستراتيجية التلميحية أكثر جلاء، فبدل أن يجيب المخاطب ب: نعم أو لا استطاع أن يعلمه بالرفض عن طريق كلام تلمحي، يفهم عن طريق سياق التلفظ.

ج- الاستراتيجية الاقناعية أو الحجاجية: سبق وأن تناولنا الحجاج بالتفصيل.

---

<sup>41</sup>- ينظر، عبد الهادي بن ظاهر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 324-325.

## المحاضرة رقم 07 من 12

### عنوان المحاضرة: أدوات الربط الحجاجي المنطقية:

#### العوامل الحجاجية:

اهتم "ديكرو" بالروابط الحجاجية لما لها من دور بارز في الخطاب، فهي تساعد على فهمه وتأويله، وقد "أدت أعماله إلى شيوع الروابط التداولية في علم الدلالة، وفي التداولية أساساً"<sup>42</sup>، حيث اقترح وصفاً بديلاً للوصف التقليدي لهذه الأدوات والروابط، حيث أضاف إليها المكون الحجاجي أو الوظيفة الحجاجية، فكلمة "حتى" مثلاً لا يقتصر دورها على إضافة معلومة للقول، بل إدراج حجة جديدة أقوى من سابقتها<sup>43</sup>. وينبغي التمييز بين نوعين من المؤشرات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية؛ فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين أو أكثر، وتساعد لكل قول دوراً محدداً، منها: بل، لكن، لاسيما، إذن، بما أن، إذا... أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية لقول ما، ومنها: ربما، تقريبا، كاد، قليلاً، كثيراً، ما، إلا...، وكل أدوات القصر<sup>44</sup>.

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي يمكن أن نسوق المثال الآتي:

1- طالعت كتاباً.

2- ما طالعت إلا كتاباً.

فالملاحظ في المثال الأول أنه لديه قيم حجاجية متنوعة تعرف حسب السياق، مثل كثرة المطالعة، والاجتهاد، وقد تكون عكس ذلك، أما المثال الثاني فهو يحمل قيمة

42 - أن روبرول - وجاك موشر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 169.

43 - ينظر، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، ص 20.

44 - ينظر، أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 64.

حجاجية واحدة وهي قلة المطالعة، كما أنّ قيمته الإخبارية لم تتغير، لكن القيمة الحجاجية تغيرت وتأثرت.

وسنحاول التفصيل فيما يأتي:

أ- العامل "ما...إلا": وهو من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، حيث تترتب في سلم حجاجي واحد، فهو عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه<sup>45</sup>، ويكون وفق الشكل الآتي:

أداة النفي "ما" ← نتيجة ← أداة استثناء "إلا" ← حجة

ويقوم العامل الحجاجي "ما...إلا" بحصر الإمكانيات الحجاجية للملفوظ، وهو ما يتبين في قول الجرجاني: "اعلم أنك إذا قلت: ما جاءني إلا زيد، احتمل أمرين؛ أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء، وأن تنفيه عن عداه، وأن يكون كلاما تقوله لا لأن بالمخاطب حاجة إلى أن تعلم أن زيدا قد جاءك ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجرئ إليك غيره، والثاني أن تريد الذي ذكرناه في "إنما" ويكون كلاما تقوله ليعلم أن الجائي زيد لا غيره"<sup>46</sup>.

وقد تطرق القدماء إلى دور هذا العامل الحجاجي في التأكيد والإثبات، وفي هذا يقول الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إن هو إلا كذا" فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت "ما هو إلا مصيب" أو "ما هو إلا مخطئ"، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا"<sup>47</sup>، فقد بين الجرجاني أن الوظيفة الأساسية لهذا العامل هي الوظيفة الحجاجية لا الإخبارية.

45 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 519-520.

46 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 334-335.

47 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 332.

ب- العامل إنّما: يعد العامل "إنما" من أبرز العوامل الحجاجية التي تحصر الإمكانات الحجاجية للملفوظ.

ومثال ذلك: "تَبّاً لِمُفْتَخِرٍ بَعْظَمٍ نَخِرٍ، إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالنُّقَى وَالْأَدَبِ الْمُنْتَقَى"<sup>48</sup>.

يبدو جليا أن المتكلم في سياق تحاور وجدال، فقد حصر الفخر في النقى والأدب المنتقى دون سواه، وهي الحجة التي أتى بها ليثبت أن الفخر لا يكون بعظم بال.

ويظهر دور الرابط الحجاجي "إنما" في توجيه الملفوظ نحو وجهة حجاجية واحدة دون سواها فقد قام بحصر الإمكانات الحجاجية في النقى والأدب، وأبعد جميع الحجج المتعلقة بالفخر، وعليه فإن دور العامل "إنما" يقتصر على الحجاج لا الإخبار، وهو ما تنبّه إليه العرب القدامى، حيث يقول الجرجاني: "اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل: "إنما هو أخوك" و"إنما هو صاحبك القديم" لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلا أنك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب"<sup>49</sup>.

فهو يبين أن "إنما" لا تأتي لإعطاء معلومات أو خبر يجهله المخاطب، وبذلك فهي تفقد قيمتها الإخبارية، غير أنها تزيد في القوة الحجاجية للملفوظ، وهو ما يؤكد السكاكي بقوله: "وترى أئمة النحو يقولون: إن تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواها، ويذكرون لذلك وجها لطيفا يسند إلى علي بن عيسى الربيعي، وأنه كان من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو: أن كلمة "أن" لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها "ما" المؤكدة لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأن قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد"<sup>50</sup>.

48 - مقامات الحريري، ص 252.

49 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 330.

50 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 403.

يبين السكاكي بأن لهذا الرابط دورا فعّالا في زيادة القوة الحجاجية للملفوظ الذي جعلته "إنما" ضربا إنكاريا، حيث أكد ب"إن" و"ما" التي استخدمت في هذا الموضوع للتأكيد.

ويظهر جليا أن هذا العامل يعمل عمل "ما إلا"، فلو استُبدل به لما تغيرت القيمة الحجاجية للملفوظ، حيث يمكن أن نقول:

1- ما الفخر إلا بالتقى والأدب المنتقى.

وهو ما يراه السكاكي حيث يقول: "نزل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد "إنما" منزلة المستثنى، فقدّر نحو: إنما يضرب زيد، تقدير: ما يضرب إلا زيد... ولا تجوز معه من التقديم والتأخير ما جوزته مع "ما" و"إلا"، ولا تقسه في ذلك عليه، فذاك أصل في باب القصر وهذا كالفرع عليه"<sup>51</sup>، ويقول أيضا: "والسبب في إفادة "إنما" معنى القصر، هو تضمينه معنى: "ما وإلا"<sup>52</sup>.

## المحاضرة رقم 08 من 12

### عنوان المحاضرة: أدوات الربط الحجاجي اللغوي

51 - المصدر السابق، ص 411-412.

52 - المصدر نفسه، ص 402.



تعتبر نظرية الحجاج في اللغة الروابط الحجاجية من الآليات اللغوية التي تحمل قوة حجاجية، حيث يعتمد إليها المتكلم قصد إقناع المخاطب والتأثير فيه، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على أنّ بنية اللغة تتضمن قيمة حجاجية، وعليه فإنّ الروابط والعوامل الحجاجية هي "المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها"<sup>53</sup>.

ويرى كل من (ديكرو) و(أنسكومبر) أن "الجملة ( أي المستوى الإعرابي والمعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تحدد معناها قبل أي استعمال لها، ولكن القول ( أي استعمال الجملة في المقام) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها، وهذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلا بموجب الوجهة الحجاجية المسجلة فيه، ومأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها وتضيّق أو توسّع من احتمالاتها الحجاجية وهذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها"<sup>54</sup>.

وتقوم الروابط الحجاجية بالربط بين قولين، أو بين حجتين أو أكثر، وتسد لكل قول دورا محددا، منها: بل، لكن، لاسيما، إذن، بما أن، إذا... وتتقسم إلى<sup>55</sup>:

أ- الروابط المدرجة للحجج مثل: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...

ب- الروابط المدرجة للنتائج مثل: إذن، لهذا، وبالتالي...

ج- روابط التعارض الحجاجي من قبيل: بل، لكن، مع ذلك...

وسنحاول توضيح ذلك فيما يأتي:

53 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 55.  
54 - شكري المبخوت، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 375.  
55 - ينظر، أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 65-66.

أ- الرابط "حتى": تعدّ "حتى" من أهم الروابط الحجاجية التي تربط بين الحجج، أو بين الحجج والنتائج، ومن نماذجها: "فَرَفَر زُفْرَةَ الْقَيْظِ، وكادَ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ، ولم يَزَلْ يَحْمَلِقُ إِلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ".

يتكون هذا القول من مجموعة من الحجج التي تنتمي إلى باب حجاجي واحد؛ لأنها حجج لفائدة نتيجة ضمنية من قبيل: تبيان شدة غضب أبي زيد من الحارث، وهذه الحجج هي:

الحجة الأولى: أطلق صوتا يعبر عن غضبه.

الحجة الثانية: تبدّل ملامحه من شدة الغضب.

الحجة الثالثة: تعدى غضبه إلى غيره عن طريق النظر.

الحجة الرابعة: خوف الطرف الآخر منه.

وقد جاء الرابط "حتى" ليزيد في قوة الحجّة الأخيرة التي أتت بعده، والمتمثلة في خوف الطرف الآخر منه، وهي الحجّة الأقوى في هذه المجموعة، وقد كانت آخر حجة يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة، وبذلك فإنّ هذه الحجج جاءت متدرجة حسب القوة والضعف، وعليه فإن الرابط "حتى" يفرض قيودا على الكيفية التي تُعتمد في تقديم الحجج، ويحدد التوجه الحجاجي العام لها، ويمكن تمثيلها في السلم الحجاجي الآتي:

النتيجة "ن" شدة غضب الرجل

(ح4) خِفْتُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيَّ

(ح3) وَلَمْ يَزَلْ يَحْمَلِقُ إِلَيَّ

(ح2) وَكَأَدَ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ

(ح1) فَزَفَرَ زُفْرَةَ الْغَيْظِ

وبذلك فإنّ الحجج المربوطة بهذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي تخدم نتيجة واحدة، وتكون الحجة التي ترد بعد "حتى" هي الأقوى، وهو ما يقصده النحاة بقولهم: "أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها...". كما أن القول الذي يتضمن الرابط "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي، ولهذا فإن جملة من قبيل: - هذا الشيخ نبذه أصدقاؤه وأقاربه، حتى أولاده، ولكنه يتمتع بمعنويات عالية . هي جملة لاحنة، وإذا حذفنا "حتى" زال اللحن<sup>56</sup>.

ب- **الرابط لكن**: تستعمل الأداة لكن للحجاج والإبطال، فالتلفظ بأقوال من نمط

("أ" لكن "ب") يستلزم أمرين وهما:<sup>57</sup>

1- تشكّل كل من "أ" و "ب" حجتين؛ الأولى موجهة نحو النتيجة "ن"، والثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها التي نرّمز لها ب: "لا-ن".

ب - تعتبر الحجة الثانية أقوى من الأولى، فهي التي توجه الخطاب برمته.

<sup>56</sup> - ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.

<sup>57</sup> - ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 58.

وقد وضع ديكرو قاعدة ل "لكن" مفادها: إذا كانت "ق" تخدم النتيجة "ن"،  
و"ك" تخدم النتيجة "لا-ن" فإن "ق لكن ك" تؤدي حتما إلى "لا-ن" حيث "ق" و"ك"  
حجتان، فالاستدراك ب "لكن" يوجّه دلالة القول إلى النتيجة المضادة<sup>58</sup>.  
ج- الرابطة بل: يستعمل هذا الرابط للحجاج والإبطال مثل "لكن"، وتكمن  
حجاجيته في أن "المرسل يرتب به الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج  
المتعاكسة؛ لأن بعضها منفي وبعضها مثبت"<sup>59</sup>، غير أن استخدام الرابط "بل"  
لجملتين مثبتتين يجعل الحجج يسير في اتجاه حجاجي واحد، أما الإضراب ب"لكن"  
فهو يؤلف بين حجتين من سلمين حجاجيين مختلفين<sup>60</sup>.

---

58 - ينظر، شكري المبخوت، أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 355.

59 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 514.

60 - ينظر، شكري المبخوت، أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 367.